مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، جامعة وهران02/ المجلد 12 ع 02
ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X Prefix: 10.46315

دريدا قارئا لهيدجر مقاربة نقدية

Heidegger read by Derrida Critical approach

سبية سوهيلة* SABIA Souhila sabiaphilos@yahoo.fr	الفلسفة الألمانية المعاصرة	مخبر الفلسفة وتاريخها/ العلوم الاجتماعية / جامعة وهران 02/ الجزائر
سواريت بن عمر Souarit Benamar saraute omar@yahoo.fr	فلسفة معاصرة	مخبر الفلسفة وتاريخها/ العلوم الاجتماعية / جامعة وهران 02/ الجزائر

DOI : 10.46315/1714-012-002-006

الإرسال: 2022/06/07 **القبول**: 2023/03/09 **النشر**: 2023/06/16

ملخص:

نتناول في هذا المقال مسألة الاستقبال الفرنسي لفكر هايدجر حيث حصد هذا الأخير حضورا بارزا في الوسط الفلسفي الفرنسي، ليرتبط اسمه بالقضايا الراهنة التي حددت توجهات الفلسفة الفرنسية المعاصرة. حيث نسعى في هذا المقال: إلى رصد مشهد التعاطي الفرنسي لفلسفة هايدجر عن طريق المقاربة النقدية التي استضاف من خلالها جاك دريدا مشروع هايدجر الفلسفي بقراءة نقدية استخدم فيها أدواته التفكيكية لتحليل اللامفكر في المتن الهايدجري.

كلمات مفتاحية: الضيافة؛ التفكيكية؛ التقويض؛ تجربة الاختلاف؛ سؤال الروح.

Abstract:

In this research paper, we will approach the issue of the French hosting of Heidegger's philosophy as he had gained a prominent interest in the French philosophical milieu. Thus, we aim to present a critical view of how France hosted Heidegger's philosophy through Jacques Derrida, who used his deconstructional tools to analyze the issue of the non-thinker in the Heideggerian text.

Keywords : hosting project; deconstruction; disruption; experience of the difference; question of the spirit.

****

أ- مقدمة:

لقد فتحت مسألة استقبال هايدجر في فرنسا مجال بحث تاريخي وفلسفي واسع؛ حيث شغل هيدجر ما يقارب نصف قرن من التفكير الفرنسي؛ حيث مثل هذا الأخير تحديًا فكريًا كبيرًا بفتحه طرقا جديدة للبحث في فضاء الساحة الفرنسية، من خلال المقتضى النقدي الذي أجراه على الإرث الفلسفي عامة والفرنسي؛ خاصة الأمر الذي يبرز تاريخ الاستقبال

*- الباحث المُرسل: sabiaphilos@yahoo.fr

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X Prefix: 10.46315

الفرنسي لفكر صعب عبر مراحل متفاوتة متعددة الأوجه، فقد كان التلقي حافلا بالقراءات النقدية مثلها جملة من الأكاديميين الفرنسيين المعاصرين المختصين في فلسفة هايدجر، ونذكر ما يشغل بحثنا وهي القراءة التي استضاف بها الفيلسوف الفرنسي "جاك دريدا" هايدجر في رحاب الفلسفة الفرنسية المعاصرة، ضمن مشروع الضيافة الفلسفي وهي المقاربة التي نشتغل عليها في مضامين بحثنا هذا بناء على عدة تجارب فلسفية ممثلة في: مسالة الروح وتابعاتها الأنطو_تيولوجية تجربة الاختلاف الفلسفية المبنية على: التقويضية الهايدجرية والتفكيكية الدريدية إذن:

كيف تعامل دريدا مع المشروع هايدجر التقويضي؟ وكيف تم تلقي هذه الفلسفة في فرنسا؟ وما حدود القراءة الدريدية لهايدجر؟

1. هايدجر في فرنسا:

تنصب القراءة الدريدية لتجربة هايدجر الفلسفية في إطار مقاربة نقدية لمشروع التقويض الأنطولوجي وسؤال الروح المخفي في ثنايا الأنطو- ثيولوجا الهايدجرية من خلال الجو الثقافي الفرنسي باستخدام أدوات إتيقية لمفهوم الضيافة بمعناه الفلسفي النقدي.

إن إتيقا الحوار العقلي بين الفلسفة الفرنسية والألمانية ساهم في إرساء دعائم الاختلاف بتنوع المشارب الفكرية والمرجعيات الإيديولوجية في صناعة ثقافة الفلسفة بصورتها الكونية المعاصرة بين هاتين الفلسفتين، فقد تمحورت اهتمامات الفلسفة الفرنسية في القرن العشرين في مسألة الذات التي أخذت مكانة مركزية في التفكير الفرنسي؛ حيث تناولتها التيارات الفكرية الفرنسية عن طريق: البنيوية، التحليل النفسي الفينومينولوجيا الميرلوبونتية، والهرمينوطيقا الريكورية أيضا نجد التفكيكية الديريدية، وبالتالي عندما نقوم بقراءة فلسفية لهاته التيمات والمذاهب الفرنسية فإننا نلاحظ هنا أن الفلسفة الفرنسية في هذه المرحلة قد استوردت الموروث الفلسفي الألماني بإعادة قراءته ومناقشته ليتشكل إنتاج فكري مشترك بينهما من حيث الاتجاهات الأساسية لهاتين الفلسفتين ضمن حوار فلسفي أخذ مدا وجزرا، وجسد هذا الأخير مراحل استقبال فرنسا لأعمال المفكرين الألمان في فضاء سجالي ممنهج في إعادة بعث مخرجات الفلسفة الألمانية من جديد بأدوات نقدية من خلال العناية الكبيرة لأهم الأسماء الفلسفية الألمانية وعلى رأسهم مارتن هايدجر ليصبح بعد ذلك معروفا في الوسط الثقافي والفلسفي الفرنسي بفعل عملية الترجمة لمجمل أعماله وأيضا عبر القراءات النقدية التي باشرها الفلاسفة الفرنسيون، ونذكر هنا على وجه التحديد جاك دريدا الذي فتح ورشة بحث كبيرة حول الإرث الهايدجري.

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X Prefix: 10.46315

L'influence de Heidegger a été multiforme tant surtout elle a noué en France des relations intellectuelles et affectives profondes (j. janicaude. 08 , 2001)

أصبح فكر هايدجر في فرنسا مادة دسمة للعديد من التيارات الفلسفية الفرنسية، من حيث سؤال الفلسفة وتجديدها، والوجود والأنطولوجيا والدين والثيولوجيا التي سجلت حضور الفيلسوف في توجهات متنوعة تجاوزت فضاءه الجغرافي من هنا فإن الإشكاليات التي تناولها الفلاسفة الفرنسيون كانت متعددة : الاختلاف الأنطولوجي بين الوجود والموجود، من التقويض إلى التفكيك تجاوز الميتافيزيقا، المنعطف الأنطولوجي نحو فكر حقيقة الوجود. إذن تمثل النصوص الهايدجرية المناسبة الفكرية الجديدة للإعلان عن الإشكالات الفلسفية التي تسبح فيها مجمل قضايا المعاصرة وبالتالي لم يغب هايدجر لحظة واحدة عن دائرة الاهتمام في الحياة الفلسفية منذ مغادرته العالم، الأمر الذي يعكس الاستثمار الفعلي لهذه الظاهرة الفلسفية المثيرة للجدل عبر النشاطات الفكرية والفلسفية الذي فتحها في صرح الخطاب الفرنسي المعاصر.

فلا يختلف اثنان في أن مجمل الفلسفات من بنيوية وتفكيكية وتأويلية تخريجات متنوعة للمنعرج اللغوي كما احتمله هايدجر، وهي بالفعل اقتراحات تركها المنتوج الهايدجري كمشروع للإنجاز والتحقيق في الفلسفة المعاصرة، ولذلك نجد اعترافات مباشرة وأخرى ضمنية لفلاسفة فرنسيين أمثال "دريد، فوكو، دولوز، لوك فيري جون بوفريه، جان بيار فاي" على القدرة الهايدجرية في طرح الإمكانات المحركة لبداية جديدة في الفلسفة وقد انعكس هذا الضوء بوضوح في مشاريعهم الفلسفية؛ حيث طرح دريدا بفعل هذا الإرث الفلسفي الرهانات الفلسفية المتجدرة في المتن الهايدجري من خلال مقاربات نقدية لمجمل المفاهيم المفتاحية لمشروع هايدجر الفلسفي. يقول دريدا في هذا السياق: "إن عنوان هايدجر في فرنسا لا يعني أن هناك أمكنة ممكنة للهجرة أو غرس هايدجر... ليس ثمة هايدجر في روسيا أو هايدجر في إنجلترا وهايدجر في أمريكا إن هايدجر في فرنسا هو دفع أصلي، حدث لا يمكن مقارنته في فرنسا هناك أكثر من مجرد تلقي لهايدجر ... أعتقد أن هايدجر هو الحدث الذي لم نقتحمه بعد في هذا القرن" (dominique.j. 2001 108 109).

2 رصد اللحظة الهايدجرية في المتن الدريدي:

بين التقويض والتفكيك لسؤال الميتافيزيقا:

تعتبر المحاضرة التي نشرها دريدا سنة الستينات حول هايدجر بمثابة المدخل الموجه إلى مختبر هايدجر الفلسفي المتعلق بالدرجة الأولى حول تاريخ سؤال الوجود أو الكينونة؛ حيث

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X Prefix: 10.46315

أظهر دريدا من خلال الولوج إلى قلعة هايدجر الفلسفية من حيث التوليفة المصطلحية التي دشنها هايدجر على مجمل المفاهيم التقليدية في الإرث الميتافيزيقي، واعتبر تقويضه الميتافيزيقا تعميقا للإشكالية المركزية في مشروع هايدجر .

وقد سعى أهم ممثلو الخطاب المعاصر إلى تجاوز المرجعية الميتافيزيقية في الفلسفة وإلى محاربة الحضور الميتافيزيقي كغاية فكرية، وقد تمظهرت في صور مختلفة؛ إذ استرعى مفهوم التجديد الساحة المعاصرة عبر أعمال فلسفية منها: التفكيكية Déconstruction (Destruktion) التي أخذت بدورها مرجعيتها من العمل الهايدجري، فطريقة هايدجر في طرح سؤال التفلسف جعله حاضرا في الفكر المعاصر؛ أو سؤال الأصل حسب تعبير الباحث كريم بن يمينة الذي يعتبر إمكان لغوي بامتياز(أحادية اللغة وهيمنة الهوة ترميم الأصل وتفسير التحول في فلسفة دريدا، مجلة دراسات، ع7، جانفي 2017، ص 52) إذ يمثل هايدجر في مشروع دريدا التفكيكي الخيط الهادي أو المشرف الفكري الذي يراقب دروب دريدا، ومن ثمة فإن الحوار مع هذا المفكّر هو حوار مع الفلسفة بأكملها، ومن هنا استأنف دريدا عمله النقدي لتفكيك الإرث الغربي وتقويضه في صورته الميتافيزيقية؛ حيث بدأ من حيث انتهى هايدجر باعتبار هايدجر يمثل فكر المنعطف الذي غير تقاليد الفكر الفلسفي في صورته المعاصرة من خلال مسألة تجاوز الإرث الميتافيزيقي .

يطرح النص الهايدجري "مقاصد جديدة، ويعبّد طرقا؛ الأمر الذي جعله دائم الوجود داخل الوعي الفلسفي" (بشير، ر، 2013، 176).

إنّ التجربة الدريدية تتحرك في أفق الفضاء الهايدجري، إلا أن هذا الاشتراك في التوجه "لم يمنع دريدا من الدخول في الحوار مع هايدجر بقراءة طريفة لسؤال الميتافيزيقا"(بشير، ر، 2013، 185)، الأمر الذي يكشف عن الاستفادة الفعلية من الدرس الهايدجري المتعلق بضرورة طرح الحوار الفلسفي، وقد تجسد هذا الموقف في ما فعله دريدا مع هايدجر في أن تكون مع الفيلسوف أو ضده .(كرر الموقف الهايدجري مع هوسرل)، وبهذا أصبح هايدجر في المناخ الفلسفي الفرنسي أحد المفاتيح التي تسمح للباحث والفيلسوف بفهم التوجهات والرهانات الفلسفية للبحث الفرنسي المعاصر، وذلك وفق ما يلقيه نص هايدجر من ظلال على كل ما يعقبه من فلسفات، وعلى حد قول ميشونيكMéschonic في كتابة " La langage Heidegger"، " ....فإن هايدجر أمير المفكرين قد مارس جذبا لا شك فيه، وإن محاولة فهم هذا الانخلاب لمهمة عاجلة للفكر" (اسماعيل، م، 2012، 192).

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X Prefix: 10.46315

إن مسألة التجاوز الميتافيزيقي هي ورشة البحث التي استخدم فيها دريدا أدواته الفلسفية النقدية بامتحان المنعطف الهايدجري واستدعاء الأنطولوجيا التقليدية، لخلخلة الفكر اليوناني من التجربة الميتافيزيقية وثنائياتها. وبالتالي فالمبتغى من تقويضية هايدجر وتفكيكية دريدا تكمن في خلق حوار فلسفي جاد لتجديد الفلسفة عبر التمركز حول النصوص التي تبسطها الميتافيزيقا؛ إذ يُعتبر هايدجر المانح الأكبر في تاريخ الفلسفة لإستراتيجية التموقع داخل النصوص والكشف عن البنيات باستنفاذ الفعالية ثم التقويض، وهذا ما يبرر جرأته في محاكمة مجمل الفلاسفة، وهذه الطريقة الجذرية في المعالجة الفلسفية تمثلها دريدا بوضوح، فإنّ أشد إستراتيجياته أصالة في تحقيق تعليقه للمفاهيم وتعطيلها إنما تنبع مباشرة من ممارسة هايدجر نفسه للنصوص، ويمكن القول في هذا المقام إن التراث هو المخبر أو المجال الذي أجريت عليه تجارب الممارسة الفلسفية؛ إذ يقول دريدا: "التراث بالمعنى العريض إنما الدقيق الذي أعطي لهذه الكلمة فهو نص"(جاك، د، 2008، 30)؛ حيث تعامل دريدا مع التراث الغربي كنص فلسفي مفتوح من أجل النقاش والنقد والتأويل، فجاءت التفكيكية التي تصورها دريدا كهدم منهجي للميتافيزيقا الأوروبية يمكن تحديدها كمحاولة لتفكيك الفكر النقدي للتراث الفلسفي (خالد مختاري، المنطلقات الفكرية والفلسفية لتفكيكية جاك دريدا، مجلة دراسات، ع7، جانفي 2017، ص 298) اذن التفكيك هو الإستراتيجية الأنجح حسب دريدا لتحليل مضامين التراث من خلال: نقد لميتافيزيقا الحضور، ونقد التمركز اللوغوسي والصوتي؛ إذ يعرج في هذا الصدد "مهمة التفكيك يجب أن تمنح من ذاكرة التراث الأدوات المفهومية التي تساعد على التشكيك بالحدود التي فرضها هذا التراث حتى تاريخه"(جاك، د، 2008، 49).

إن هايدجر ليس مركزيا بالمعنى الدريدي، فبمجرد ما إن يلجأ دريدا إلى تحليل نصوص هايدجر ظل الحضور مستمرا في عمل دريدا، لدرجة أنه يمكن القول إنه يعيق ذلك مزيدا من التفصيل في نظريات دريدا الخاصة، وبالتالي فإن التفكيكية مصطلحا عنوان للظهور الدريدي في الفلسفة، فما المقصود من هذه الفكرة؟ وما أصولها المعرفية؟ "إن صعوبة تحديد مفردة وبالتالي ترجمتها إنما تنبع من كون جميع المحمولات وجميع المفهومات التجديدية وجميع الدلالات المعجمية خاضعة للتفكيكية وقابلة له مباشرة أو مدوارة، وهذا يصح على كلمة التفكيك وعلى وحدتها مثلما كل كلمة"(جاك، د، 2010، 139، 140).

لذلك نجد دريدا يؤكّد في العديد من المناسبات أن المشروع التفكيكي إستراتيجية ولم يكن نظرية أو منهجا محدد المعالم. فإنّه من السذاجة اعتقاد معنى ثابت وواضح لمفردة التفكيكية في اللغة الفرنسية، وإن ترجمتها إلى لغات أخرى لا يعدّ حدثا ثانويا بل هو مجازفة وإعطاء

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X Prefix: 10.46315

فرصة لإبدالها بمفردة وتطبيقها في مواضع أخرى(1988، 57، 63)؛ إذ يصعب تحديد مفهوم أو معنى دقيق للتفكيك مصطلحا وإنما يسري حركة فلسفية نقدية للمفاهيم الكلاسيكية عبر تاريخها الميتافيزيقي "لست أجرؤ على القول إني متبع رسما هايدجريا، إننا اليوم في حقبة وجود -في صدد- التفكّك قد تكون أبانت عن نفسها أو تخفّت في أحقاب أخرى. إن هذا الفكر الزمني ـ وخصوصا الفكر القائل بتجمع مصير الوجود ووحدة مآله أو زواله ـ لا يمكنه أبدا أن يوفر أية ضمانات موثوقية" (جاك، د، 2000، 62).

أخذ التفكيك أصوله من التقويض الأنطولوجي، وهنا يظهر التأثير البالغ لهايدجر في فكر الفرنسي جاك دريدا؛ إذ إن النواة الأولى للتفكيكية في الخطاب المعاصر ذات أصل هايدجري، إن التفكيكية التي يستخدمها دريدا تستلهم مشروع هايدجر بخصوص تدمير الأنطولوجيا Destruktion der geschichte der ontologie، وقد أسست إستراتيجية التفكيك بموجب مشروع التقويض للميتافيزيقا الغربية بدءا من فكرة الحضور وما ينتج عنها من ثنائيات: اللغة الميتافيزيقية، والحضور، والتمركز اللوغوسي، والتمركز الصوتي، وبهذا يظهر الأمر جليا بأن العمل الدريدي وجد مرتكزاته الفلسفية في حواره مع الفلسفة الألمانية ممثلة في تقويض الميتافيزيقا مع هايدجر، ففلسفة ميتافيزيقا الحضور من بين الأسباب التي دعت دريدا إلى تفكيك هذه المركزية التي وسمت الفلسفة الغربية، وعلى هذا النحو يعتقد جاك دريدا أن هذه الميتافيزيقا تحتاج إلى رؤية أخرى وتأويل مغاير للتفسير الذي مر عليها عبر الأعمال الفلسفية السابقة؛ لا سيما هايدجر وفلسفته الأنطولوجية التي ترى في الوجود وجود حاضر وعدم حضور، الأمر الذي يخالف المنطق الدريدي مُؤكدا استحالة الحضور؛ حيث انصب الانشغال الدريدي على تحطيم ثنائية الحضور والغياب، وفتح طرق الاختلاف تحت راية تفكيك ميتافيزيقا الحضور.

تتحدد هذه الإستراتيجية كونها قراءة نقدية للفكر الغربي انطلاقا من المفاهيم التي تربّع عليها التراث الميتافيزيقي من عقل وهوية وحضور وصوت والأصل وإلغاء لهذه التمركزات لأجل تفكيك المبدأ الأنطوتيولوجي للميتافيزيقا(بير زيما، 1996، 48).

يتأسس الجهد الدريدي من خلال إستراتيجية التفكيك على غربلة ميتافيزيقا الحضور وفضح هذا العجز بإعادة النظر في مفهوم الحضور كونه المرسم الأول لمجمل المفاهيم التي سارت الميتافيزيقا على هديها، والهدف هنا هو خلخلة الرصيد الميتافيزيقي والكشف عن التناقضات التقليدية، وبهذا ترمي العملية التفكيكية الدريدية إلى الكشف عن التناقض المبدئي بين مسلمات التراث الغربي المسكوت عنها حسب تقدير الباحث المصري أحمد عطية

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X Prefix: 10.46315

(2010، 202) بحصر الثنائيات بدءا من "أفلاطون" وصولا إلى "دي سوسير"، فهذه القطيعة الفكرية بدورها تفسح المجال لفلسفة أخرى يدعوها فلسفة الاختلاف.

إنّ علة وجود التفكيكية وأحد أهدافها المعلنة هو القضاء على سلطة اللوغوس وإنهاء السيطرة الميتافيزيقية إلى غير رجعة؛ حيث أثبت دريدا أن التراث الفلسفي الغربي ظل متشبعا بفكرتي التمركز حول العقل "L'ogocentrisme" وميتافيزيقا الحضور " Métaphysique du présence"، ووفق هذا يضع دريدا برنامجا نقديا لهاتين الفكرتين الفاعلتين في خارطة الميتافيزيقا طموحا لتفكيك جلّ المراكز الدلالية لتجاوز التجربة الهايدجرية وتاريخ البداية ممثلة في الفلسفة الأفلاطونية التي دفعت العقل نحو الواجهة وأعطت له السلطة الأولى في توجيه المعاني وتحديدها؛ حيث أصبح قياس النموذج العقلي تبنى عليه مجمل الإبداعات الفكرية.

ومن هنا وجّه دريدا قراءته لتفكيك هذا التمركز لتقويض الأصل، أي: نقد اللوغوس كونه أنتج تمركزا صلبا أقصى فيه كل ممارسة فكرية لا تتمثل لشروطه؛ لأنه ربط بينه وبين معنى الحقيقة، فأنتج نظاما مغلقا من التفكير؛ حيث عبر عن هذا فرج محمد يحي في كتابه المعنون "نقد الخطاب الميتافيزيقي في الفلسفة الغربية الأنطوتيولوجي"، دس، 162). قِس إلى ذلك معظم المفاهيم التي مرّت عبر نسخ الحداثة والتعالي والقصدية والكوجيتو، وعليه فإنّ بنية هذه المشاريع تندرج تحت مظلة واحدة وهي مقولة التمركز التي يسعى دريدا جاهدا في تحطيم آلياتها لفتح الخطاب نحو أفق المستقبل بناء على ذاكرة الاختلاف؛ حيث نجد القراءة التفكيكية قراءة غير مستقرة تحرك البنيان المعرفي للقضايا فيصبح الهامشي مركزيا.

يترك دريدا البناء الفلسفي يتداعى من تلقاء نفسه، وهو الأمر الجديد الذي أعلنه دريدا في فلسفة الاختلاف، فسؤال الاختلاف الذي سجّل غيابه في الفكر طوال تاريخ الميتافيزيقا والذي كشف هايدجر عن ضرورته هو من الدواعي التي صرفت دريدا إلى إقحامه في برنامجه التجديدي، فتم نقل مستوى التفلسف من أرض الماهية والمطلق إلى أرض التأويل والاختلاف، فالمشروع الهايدجري يطرح المساءلة التأويلية للكينونة استدراكا لمعنى الاختلاف الأنطولوجي، والفكر الدريدي يملك نفس المسعى عن طريق الكتابة والاختلاف. فالتفكير في الاختلاف خاصية عصر نهاية الأنساق الكبرى، وللإحاطة بحقيقة الوجود يرى دريدا أن هايدجر كان أمام مهمة تاريخية فريدة لاستيعاب الميتافيزيقا ومجاوزتها، وهنا يظهر التقاطع الفكري بين دريدا وهايدجر في ملامسة المشكلات الفلسفية للميتافيزيقا وأدواتها المعرفية، فلا يمكن الحديث عن التفكيكية إلاّ بطرح قضية الأزواج المتعارضة ملاحقة لسلطة المعنى الذي يحاول العمل

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X Prefix: 10.46315

الدريدي فتحها نحو الاختلاف، وبالتالي فإنّ فلسفة المعنى في مشروع دريدا تكشف بدورها عن حدود سؤال الماهية (سؤال الما) الذي تردد كثيرا في خطاب الفلسفة الغربية، وهنا تهدف الدعوة الدريدية إلى تفكيكه؛ إذ إن أسئلة الحقيقة والحضور التي تندرج تحت هذا السؤال برهنت عن عدم كفاءتها ومشروعيتها، فالسؤال الذي لابد أن يطرح في راهن الفلسفة هو سؤال التأويل والتفكيك وما يقيمانه من إمكانات تجديدية، "إنّ سؤال التفكيك هو من أقصاه سؤال الترجمة وسؤال لغة المفهومات والمتن المفهومي للميتافيزيقا المدعوة بالغربية" (جاك، د، 2000، 37)

3 . سؤال الروح: قراءة دريدا فكرَهايدجر

إن وضع المسألة الدينية في المدونة الهايدجرية أسالت حبر الكثير من المشتغلين في هذا الشق من مشروعه الفلسفي، وقد أحدثت قضية المقدس الروح والإلهي، تبعات فكرية وإيديولوجية على مستوى الفلسفة الغربية المعاصرة، "إن فقدان المقدس هو ربما الإثم الحقيقي الذي اقترفه عصرنا" (هانزجورج، غ، 366 -2007)

ونخص بالذكر الفلسفة الفرنسية؛ حيث أحدثت هذه المسألة جدبا وتأثيرا بالغا على الفلاسفة الفرنسيين الذين استقبلوا فكر هايدجر من كل جوانبه ومن بينها: المقاربة النقدية التي باشرها دريدا على المتن الديني لدى هايدجر، وتتركز على إيقاظ اللامفكر به أو المسكوت عنه من تجارب دينية كسؤال الروح الذي خصه دريدا بعملين مستقلين نرصد من خلالهما العلاقة الفلسفية التي تجمع بين هذين الفيلسوفين في القرن العشرين، وعنونهما كالتالي: "في الروح هايدجر والسؤال"، "غشلت" وهما في الجنس والعرق والأمة والإنسانية؛ حيث يعتبر هذا العمل جزءا كان مفقودا في المسيرة الفلسفية لدريدا فأصبح بعد أن عرف النور الخيط الهادي في مساءلة قضايا الجنس والجندر والهوية من خلال تحليل معاني الكلمة الألمانية التي عنون دريدا مؤلفه بها ليلفت الانتباه في كتابه هذا التبعات الإيديولوجية لقومية هايدجر وإشكالاتها على المستويين السياسي والشعري.

تناول دريدا في هذين العملين كيفية قراءة هايدجر بجميع صوره ليتوغل إلى عوالم غابة هايدجر الفكرية التي ترتبط بقاموس العرق واللغة والأمة والروح ليكشف بذلك دريدا عن الوجه المخفي لهايدجر في هذه التجربة الدينية

تتقاطع المسالة الدينية عند هايدجر مع القاموس الأنطولوجي الذي يحمله هذا الفيلسوف في فلسفته، كما أدت التربية الدينة دورا مهما في تحديد موقفه الفلسفي بين جدلية اللاهوت والأنطولوجيا والميتافيزيقا، ولتجاوز مفهوم الإله بالمعنى الميتافزيقي فإنه خص هذه

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X Prefix: 10.46315

المعادلة بقراءة نقدية من أجل تجديد الفلسفة من الرؤية التقليدية التي طالت تجربة اللاهوت والله والمقدس في تاريخ الفلسفة، فالله لا ينبغي أن يمثل معنى القيمة كما كان سائدا في تفكير الفلسفة الغربية من أفلاطون إلى نيتشه؛ حيث أصبح وجود الإله مرتبطا بالتشريع لجملة من القيم الأخلاقية، وهنا تختزل قيمة الإله في غايات عملية متمثلة في الممارسات والطقوس الدينية، وهذا ما يحط من قيمة الألوهية، لذلك نجد هايدجر يرفض هذا التوجه الذي يعبر عن الله غاية أسمى متعالية كما هو الحال في التفكير الميتافزيقي اليوناني؛ لأنها بهذه الصورة أهملت التمييز اللاهوتي ومن ثمة أغفلت الاختلاف الأنطولوجي بين الموجودات والوجود، وهو الفخ الذي سقطت بموجبه الميتافيزيقا التقليدية (نسيان الوجود)، وعلى هذا الضوء تجاوز هايدجر الله الميتافيزيقي بالمعنى اليوناني. وأيضا الصورة التي أعطتها إياه السلطة الكنسية، وبالتالي ينبع الله والمقدس من صميم التجربة الوجودية في جميع تشكلاتها (التحجب، التخفي، الظهور، الإنارة، التكشف ...).

يظهر جاك دريدا في هذا السياق أن هايدجر كان حريصا في قراءته للتجربة الدينية على التحرر من اللاهوت المسيحي، إلا أنه حسب تصور دريدا بقي سجين مفهوم الإيمان بمعناه الديني؛ إذ إن فكره الأنطولوجي مرتبط بتجربة المقدس التي ترجمها في مشروعه الفلسفي لتأويل الكينونة عن طريق العودة إلى الشعراء وتقديس الأرض وجدر الانتماء الروحي إليها من خلال تجربة الرابوع.

وتجسدت مظاهر حضور الروح ـ حسب تقدير دريدا ـ في كل من التجارب الأنطولوجية الهايدجرية كالموت والعدم والدزاين والوجود والإله والمقدس. فمن خلال هذه المعادلة استضاف دريدا سؤال الروح الهايدجري في مؤلفه الموسوم "في الروح هايدجر والسؤال"، وطرح فيه الجوانب المخفية في مشروع هايدجر الأنطولوجي خاصة منها التجربة الثيولوجية التي تضمر بداخلها سؤال الروح أو الروحي. ولعل هذه الاستضافة النقدية لدريدا كانت تهدف إلى كشف النصوص الفلسفية لتجربة الروح التي كانت مخفية؛ حيث تمكنت الرؤية الديريدية من إقصاء الواضح في نصوص هايدجر لسؤال الروح وفق هذا الأساس، فإن مفهوم الروح بالمعنى الذي شرع له هايدجر في مسألة تشييد تجربة الدزاين ـ حسب تقدير دريدا ـ قد سلك بهذه الطريقة الميتافزيقية مسلكا إيديولوجيا قوميا فبرر أن كتاب هايدجر "الوجود والزمان" لا يزال يشكو من القراءة الفلسفية التمحيصية التي تليق بمثل هذه الأعمال التي أصبحت مدونات بحث في الفلسفة المعاصرة .

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X Prefix: 10.46315

ويشير دريدا إلى أن فعل الترجمة لمعنى الروح غير ممكن بسبب السياج الذي أحاطه هايدجر بها من خلال القاموس اللغوي الألماني؛ حيث يذكر في كتابه "في الروح هايدجر والسؤال" أن مجمل المهتمين والمتخصصين في الفلسفة الهايدجرية لم يطرحوا مسألة الروح على طاولة النقاش المعاصر على غرار الثيمات الهايدجرية الأخرى أو بالأحرى لم يهتموا بالمرة في مسألة تتبع جذر الروح. (2013، 45)، وهو الأمر الذي جعل التأويل الفلسفي لهذه الكلمة في ثقافات أخرى عسيرا، وعليه تناول دريدا فلسفيا تجربة الروح الهايدجرية من منظور فرانكو جرماني من أجل توسيع نطاق التفكير في هذه المسألة عبر الفضاء الفرنسي والألماني الذي تموضعت فيه كلمة الروح لتبحر هذه المفردة في سياق الثقافة الفرنسية من دون أن يجردها دريدا من أصلها الجرماني؛ حيث شخصها هذا الأخير في بعد سياسي، خاصة أن مسألة استقبال هايدجر في فرنسا فتحت ورشة بحث تاريخية وفلسفية واسعة، فالفكر الفرنسي في حقبة القرن 20 بدءا من ليفناس... وريكور وصولا إلى دريدا ارتبط باللغة والثقافة الألمانية التي صدرت إلى فرنسا من خلال القراءة التفكيكية لهايدجر عبر جاك دريدا، فالمكانة التي يخصصها هايدجر للتعبير عن معنى الروح تتجسد تحديدا في اللغة الألمانية التي تمتلك ناصية المعنى داخل الثالوث التاريخي للغة المتمثل في اللغة اليونانية واللاتينية والألمانية، ويثير دريدا تساؤلا حول سر هذا الإغلاق الذي خصه هايدجر لمعادلة الثالوث التاريخي اللغوي لمعنى الروح.

يسترجع دريدا هنا تاريخ الإرث اللاهوتي الفلسفي والعرق الأوروبي لجذر الروح من خلال تفكيك الإستراتيجية التي اتبعها هايدجر في حضور وإمكانات الروح ومعانيها عن طريق الشعر الذي يجسد علاقة هايدجر مع الشاعر "تراكل" للتعبير عن مسألة الروحانية في الترنيم الشعري. وتمثل النبرة الشاعرية التي هي استعداد عميق خاص بالشاعر يتمثل في الابتهاج والحزن والاندهاش لتصبح هذه الرنات مؤسسة لرنة المقدس الذي يرتبط بالروح، ليخرج هايدجر ـ حسب قراءة دريدا ـ أشعار تراكل من روح المسيحية بفعل هذا التوصيف الذي يخفي التاريخ المسيحي لمعنى الروح. ويبين لنا دريدا أن هايدجر رفع مسألة الروح إلى مستوى آخر انبثق من المشهد التاريخي الذي جسده هايدجر من خلال العلاقة التي ربطت هايدجر مع اللاهوتيين المسيحيين في مساحة فكرية تجمع بين ما هو لاهوتي وفلسفي لتأسيس أنطولوجيا الوجود التي رسمت كل مباحث مشروع هايدجر الفلسفي. لكن لم تحظ بالقراءة الصحيحة مما جعل دريدا يبرر نقده في أن هايدجر بكل ما باشره في الفلسفة بقي داخل دائرة التقليد الميتافيزيقي.

كما حدد دريدا أيضا المسألة بأنها ذات بعد إيديولوجي لارتباطها بخطاب العمادة "التأكيد الذاتي للجامعة"، وهنا اكتسب سؤال الروح نزعة قومية فلسفية حسب تقدير عماد نبيل (2014، 166).

وعليه فإنّ الفلسفة الفرنسية مع أعلامها الراهنة امتحنت طريقين في التعاطي مع فكر هايدجر خاصة المتعلق بالروح لا سيما المتعلقة منها في تأويل خطاب العمادة وهيكلة الجامعة الألمانية، ونستحضر ما عبر عنه الباحث فتحي المسكيني في التعاطي مع هايدجر في قوله: "إن مسألة التفكير

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X Prefix: 10.46315

بعد هايدجر ـ كما هو الحال مع جميع عمالقة العقل البشري ـ هو إما معه أو ضده، ونحن نقترح أن نمتحن الطريقين" (106، 2011)، ونجد الحال نفسه مع الفلسفة الفرنسية؛ حيث نجد الطريق الذي ناهض هايدجر وأسهم في تأجيج الوضع الفلسفي ضده خاصة عبر إلقاء الضوء على قضية الدفاتر السوداء ومسألة انتمائه النازي؛ حيث حاول أصحاب هذا التصور الفكري استغلال التجربة السياسية لهايدجر في مرحلة انتسابه للحزب النازي وكسب الشأن الثقافي الفرنسي لصالحهم بمحاكمة فلسفة هايدجر برمتها في خانة النازية والإلحاد، فظهرت بعد الجدل الفرنسي حول هايدجر الجديد ليمثل بذلك هذا التصور مغامرة فكرية خرجت عن نطاق الفلسفة الأكاديمية في فرنسا، وأما الطريق الثاني فهو الذي استمر في الدفاع على فلسفة هايدجر بصورتها الأكاديمية الكلاسيكية بالاشتغال النقدي حول الإمكانات التي تركتها هذه الفلسفة، ضف إلى ذلك إيقاظ ما وراء نصوص هايدجر الفلسفية وتحيينها كونها عتبة انطلقت من خلالها مجمل الأعمال الفلسفية المعاصرة خاصة منها الفرنسية، وهو طريق الذي اتبعه دريدا في قراءته للمناطق المظلمة في فكر هايدجر بوسائل نقدية أكاديمية أخذ التفكيك فيها الحصة الأكبر في تحليل القاموس الهايدجري المتعلق باللسان اللغوي الديني، فأظهر العلاقة العميقة التي كانت تربط دريدا بهايدجر؛ لكن طالها بعض الاهتزاز بفعل الاهتمام المتجدد لفرنسا بمنعطف نازية هايدجر، وهي موجة خيمت على النقاش الفرنسي حول الملف الهايدجري وعرفت الكثير من الآراء والتأويلات، وفي هذا المقام نجد الجهد الفلسفي الذي أقامه دريدا في إعادة قراءة هايدجر وتأويله فلسفيا داخل المؤسسة الفرنسية، وذلك من أجل تعميق التزامه اتجاه هايدجر عبر ازدواجية الدفاع والنقد في الوقت نفسه؛ حيث تعبر محاولة دريدا الفلسفية هذه عن الانخراط في النهج الفرنسي النموذجي في التفكير.

خاتمة:

بناء على ما ذكر سابقا فإننا نستنتج أن السجال الذي أجراه دريدا مع هايدجر من أهم القراءات النقدية الفرنسية التي حددت توجهات البحث في الفلسفة الفرنسية المعاصرة؛ لأننا عندما نتحدث الآن عن ثيمات الفلسفية المحركة للبحث من تفكيكية وهرمينوطيقا وتجربة الاختلاف فإننا نستكنه بالدرجة الأولى المنعطف الذي أحدثه هايدجر في تاريخ الفلسفة من بدئها إلى عصر دريدا.

وبالتالي نذكر النتائج التي توصلنا إليها عبر اشتغالنا الفلسفي لهذا البحث في ما يلي:

إن من مزايا السجال الفلسفي الذي استضاف من خلاله جاك دريدا المتن الهايدجري هو تكوين إرث فلسفي ألماني فرنسي انعكس بصورة جلية في الساحة الفلسفية الفرنسية المعاصرة بحضور قوي من خلال هذه المقاربة الديريدية لهايدجر بتكوين جيل فلسفي جديد انبثق عن الظاهرة الهايدجرية؛ حيث تم تجاوز مرحلة الإعجاب بمارتن هايدجر إلى مستوى نقد وإعادة طرح جديد لإشكاليات اهتم بها هايدجر في زمن الحداثة.

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X Prefix: 10.46315

إن المقاربة التي اشتغل بموجبها دريدا على المشروع الهايدجري برمته أسست عملية نقدية حول مشهد التلقي الفرنسي لتناول الأنطولوجيا الفلسفية والدينية للعمل الهايدجري؛ حيث انفتحت هذه القراءة على كل التأويلات الفلسفية والسياسية لهايدجر جديد في فرنسا.

****

المصادر والمراجع:

Books *-

JANICAUD(D).(2001).Heidegger en France, tome 2 entretiens , édition Albin Michel paris .

بلكفيف، سمير وعماد، نبيل وعلوش، نورالدين. 2014، الفلسفة الألمانية والفتوحات النقدية قراءات في إستراتيجيات النقد والتجاوز.(الطبعة الأولى). بيروت، لبنان: جداول.

بير، زيما. (1996). التفكيكية دراسة نقدية تعريب أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

دريدا، جاك (2013)، في الروح هايدجر والسؤال، لبنان: دار الفارابي.

دريدا، جاك. (2000)، الكتابة والاختلاف، المغرب: دار توبقال للنشر.

دريدا، جاك. (2008). إليزابيث رودينيسكو، ما عن الغد محاورة، دار كنعان للدراسات والنشر.

دريدا، جاك. (2010)، عن الحق في الفلسفة، بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

ربوح بشير وآخرون. (2013)، من الكينونة إلى الأثر هايدجر في مناظرة عصره.(طبعة الأولى). وهران، لبنان: ابن النديم ودار الروافد الثقافية.

عبد الحليم، أحمد عطية، (2010). جاك دريدا والتفكيكية، بيروت: دار الفارابي.

غادامير، هانز جورج، طرق هيدجر، تر: حسن ناظم وحاكم صالح، دار الكتاب الجديد المتحدة، د.ط، 2007

فتحي المسكيني، التفكير بعد هايدجر أو كيف الخروج من العصر التأويلي للعقل جداول للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 20011

فرج، محمد يحي. نقد الخطاب الميتافيزيقي في الفلسفة الغربية، مصر: كلية الآداب جامعة عين شمس.

مهنانة، إسماعيل . (2012). الوجود والحداثة هايدجر في مناظرة العقل الحديث، الجزائر: منشورات الاختلاف.

مقالات المجلات =Journal & Magazine Articles

بن يمينة كريم، جانفي(2017). أحادية اللغة وهيمنة الهوة ترميم الأصل وتفسير التحول في فلسفة دريدا، مجلة دراسات.